الكلب

قصة بقلم عبد الرحمن علي

في شارع جانبي شق الليل عواء يذيبه الالم . وعلى سطح الطريق كانت أنفاس كلب تتلاشى ببطء وصرامة وقسوة ، حتى تبددت ... وعلى مقربة منه أطل رجل من نافذة سيارته ، ولما اطمأن الى انه قد صدم كلبا ابتسم ابتسامة شاحبة لامرأة بجانبه ، ومضى الى لهو مرح ، بينما رقد الكلب كصفر العدم .

وفي الصباح مر الناس ، وفي مرورهم عليه كانوا يسترحمون على الرقدة وعلى لعاب الدم الاسود الذي لفظه فمه ... وأنى لهم ان يقفوا أمامه وهم مطحونون بأعمالهم ؟ شيء يثير الالتفات : الطلبة ونسيم الصباح يعابث وجوههم ... كان أكل يباشر الجثة بحساسية غريبة ، فقد كانت أيام امتحان . بينما كان البعض الاخر يمر عليه ولا يبالي ، وكأن رقما نقص أو كأن شيئا لم يكن . مر عليه عامل صغير وبعد أن خطاه ضربه بطوبة ، ثم وقف وفكر : لماذا فعل هذا ؟ ولكنه حيا عقله وسار ..

الناس تضرب الموت بالحياة ، بينما ضربه طالب صغير بمريلة بيضاء بالمسطرة ونظر اليه فارتعب ثم سار وركبتاه يفتتهما الهلع .

كلهم ساروا عابرين أما هو ، فلم يمر مرورا عابرا عليه . هو... الصبي ، ذو التسعة الاعوام ، حليق الشعر ، ذو الوجه الموحي ، فقد بكى قلبه .. انه يعرفه : فهو صديقه .

كان يحبه. فعندما كان يذهب الى المدرسة كل صباح كان يقابله. والكلب جميل ، أجمل من زير الماء المخضر القاع الذي تصر عمته أن تضعه في البيت في ركن ظليل كي تشرب هي وهو منه كوبة الماء باردة !

ولم يره يوما وفي عينيه « عماص » كما كان يرى دائما عيني « كريمة » زميلته في المدرسة .. لولا هذه القذارة التي في عينيها لاحبها أكثر منه !

ولكن كريمة جميلة وحبوبة ، وهي تحبه ، فهي تقسم قلمها الرصاص قسمين بالموسى ، وتعطيه القسم الاخير الاجمل اذ انها تبريه له بعد أن تقطعه .. وبذلك يكون رأس القلم أنيقا ، بينما هي تأخذ الاول وتظل تساوي الطرف الذي قطعته منه بالموسى حتى يصبح أنيقا كما القلم الجديد .. ولكن أنى لها أن تستطيع ؟

ذات مرة سأل عمته : من ذا الذي يغسل وجه الكلاب ؟ هل يغسلون هم وجوههم (ولكن غير معقول) .. أم ان اصحابهم يغسلون لهم وجوههم ؟ (ولكن ليس لكل الكلاب أصحاب) .. فهناك كثير من الكلاب التي يراها بجانب « الزبالة » وكلها « اوساخ » !

وأخبرته عمته ان الكلاب لا تغسل وجوهها بل يحممها أصحابها ان كان لها أصحاب .

وصديقه « الكلب » كان له أصحاب ، فهو كان يخرج يوميا في فترة الصباح من أحد قصور العباسية كي يبول ويفعل أشياء أخرى .

كان يخرج معه الحارس ، ثم زهق فتركه ليبول ويلوف على صاحباته من الكلاب .. ثم يعود ليأخذه ... وفي الظهر كذلك .. وهكذا ....

وقابله الصبي .. وكان الكلب لذيذا فأحبه .. وطالما حاول التعرف عليه ... فكان يحوش له الجبنة الرومي التي يأخذها الى المدرسة ليعطيها له .. بل كان يقتطع من مصروفه القدري ويشتري له قطعا رخيصة من الشيكولاتة ليعطيها له .. واستمر يستجدي معرفته حتى لان الكلب واصبح يرفع ذيله عندما يراه .. بل ويهزه له عندما يلمحه قادما من بعيد .. « الكلب جميل يا نينا » طالما قالها لعمته التي كان يناديها بنينا ، لانه لم يكن لديه نينا ..

كثيرا ما كان يفرس يديه في شعره الذي هو مزيج من لون القطن والثلج .. ولان الكلب له حتى انه كان يتجول به .. فيسير الكلب وراءه .. ولكنه في النهاية للاسف يعود كل منهما الى حيث يعيش .

وفي هذا اليوم القمامي بحث عنه ، ولكنه كان طريحا هذه المرة.. وأحس بانه يغيب ويدمي ... واقترب من الكلب وقلبه على جانبه فهوى جنبه ورأى دمه فلسعه العذاب ، وهزه . هزه .. لكنه لم يرد عليه .. لمسه .. ولم تهطل له دموع ولكنها آتية لا ريب فيها .

وكمن تشنجت يداه على نار ، وكمن شاخ قلبه من عذاب ، سمع ممن مروا حوله بل عرف من نفسه ان صديقه قد مات .

الموت : انه سمع عنه مرارا ، بل لقد استأجرت عائلته الموت مرتين في أبيه وأمه .

وجلس بجانبه ينظر اليه ... وانه لمن الالم يكاد يموء ، وشدت عيناه الدموع :

« يا خسارة ...

يانا

يا نينا ... يا خسارة يا نينا الحقيقية » ...

انه يذكر كيف علم انها ماتت بعد مدة ... لم يقولوا له من أول مرة . قالوا له انها سافرت .. ويبدو ان السفر مصيبة لا يرجع الناس منها ، وهو عندما ماتت كان صغيرا ولكن الان رغم انه لا يزال صغيرا الا ان صغره كبير ويريد أن يعرف ... ولكن عقله لا يسعفه .

وجرى الى الرصيف الاخر ، ونظر الى الكلب من هناك وعاد اليه يقحم نظره فيه .. ويعذبه منظره .

وجلس جانبه .. ولكنه عاد وجرى الى الرصيف الاخر :

« آه ، يا خسارة يا بابا » ..

لقد سافر أبوه الى الحجاز ولكنه لم يعد .. والحجاز هو بيت الله كما قالت له عمته ، ورغم انها قالت له انه ذهب ليزور بيت الله الحرام فقط الا انه اقتنع نفسه ان لله بيتا هناك وانه البيت الوحيد لله.

وتعجب لماذا لم يسكن الله في مصر التي فيها (بحر النيل) .. وفيها الشوارع الحلوة والترام .. والاوتوبيس الاحمر الطويل ! لماذا بنى الله بيته هناك وسط النخيل والجمال والمعيز ؟

ولم يعد أبوه ... ولم يعرف لليتم معنى أول الامر .. ولكنه حتما ولا بد أن يعلم ما هو من صاحبات الملاءات اللف الكثيرات اللاتي كثيرا ما احتضنه ومصمصن وهن يقبلنه « يا عيني يا ابني » ، فهن بارعات في هذا براعة بارعة !!

يومها عندما تأكد .. أحس انه قد هتكه الاله .

ان السفر والحجاز والموت شيء واحد :

السفر موت

والحجاز موت

والموت موت

ولكن ما هو الموت ؟ انه لا بد ان يعرف . لطالما أجل الاجابة على

الشعر وأجراس العودة

— ١ —

ملقى على قارعة الطريق
ممزقا ... رثـا
فحلا بلا أنثى
يجأر في صدرك شوق بائس عريق
لتمته دهرا ....
أجريته نهرا من الاحزان ، والنيران والضباب
فكنت « نيرونا » ... بلا روما
منسحق الهامة مهزوما
يرسم بالدخان ... وجه « هاملت » جديد
لوجهـه ،
لعل في الدنيا
صبية تبحث عن ذكرى
يزرع عينيه ... على شباكها زهرا
وينثر الليل ... على اكتافها ظفائرا خضرا
لعل ..... عشتارا بلا مأوى
تسأل عن حب ..... بلا مأوى .

— ٢ —

ملقى على قارعة الطريق
تبحر في الغروب
وترقب النجوم اذ تؤوب
لعلـه يعود .....
من غربة البحار
عينا زرادشت على كفيه جمرتان
لعـــل .....
جيفارا الذي يدور في الزمان
يشق صمت القدس ... اذ يرى على التلال
جواد لوركا الاخضر السابح في الظلال
تسوطه الكلاب
لعـــل .....
« ذا الفقار » ...
يفلق « رأس خيبر » ويحسم النزال
فيسدل الستار .....
لعـل .....
ما أقتل ان نحلم واقفين
لعـــل .....
ما أقتل ان نسير نائمين
على ضفاف نهرنا ..... المروع الحزين .

— ٣ —

أحفاد « سنتياغو » ... طيور البحر ، في سيناء ظمأى
يلهث السراب ، في عيونها ، .. ويصدأ النهار
من يقرع الاجراس للابطال .... ،
يا رجالنا الصغار
الشعر ... ؟ .... ملقى ، دونما وجه ، على قارعة الطريق
يحلم بالعودة ..... ،
أو ينزف ، دونما حروف ، جرحه العميق .

بغـداد — **حسين جليل**

هذا السؤال ، ولكنه يجب أن يجدها الان . ورغم انه كان يجرع المحال فهو يريد أن يصل ، وسح منه الدمع ...

« من موتهم .. ربنا » ..

لماذا يميت الله الناس ؟

هل الله كرأس العبد الاسود ؟ هل الله مخيف وأسود ؟!

ولكنه (استخفر) الله سريعا ...

« لا ... ابدا . والله يا رب انت كويس » .

لطالما أسعفه الله في مسائل الحساب ورحمه من عصا المدرس . وجرى الى الرصيف الاخر ..

لماذا يلثم العذاب ؟

وجلس مهدودا : « ربنا كويس .. الموت هو اللي وحش . كده ، الموت .. كده .. حرام يا رب .. آه هو الموت اللي وحش يا رب » .

عندما سيعود سيقبل كريمة ويقبلها .. وهو لا يدري لماذا لـم ينتبه الى انها جميلة وتحبه وتقضم له أظافره الطويلة قبل أن يـأتي المدرس ويضربه لقذارة يده .. سيقول لها ان الحياة أجمل من الموت .. ان الحياة هي شيء اخر غير الموت .

. . .

واذ هو في هذا انتبه الى ان جرس المدرسة قد ضرب وان زملاءه قد دخلوا الفصول .

ولكنه سيعرف الان .. دغدغة ملأت قلبه .. وفرحة باليقين بأنه سيعرف ما هو الموت الان . أنه سيعرف الان .. وجـرى ليعـرف وهو مسرع .

وأنى له وهو يعبر الطريق أن ينتبه الى ان عربة مسرعة كـادت تدهسه ، ولكن الثانية دهمته .. قبل أن يعرف .

أ — « لقد احتبس الماء في الحنفية »

ب — اني أقع من سريري على لا قرار

ج — كلبي يخنقني

د — يخنقني الكلب ..

هـ — ... ... لا أحد موجود .

.. — أنا ...

.. — لا .. أنا

ص — الدنيا صفراء

ص — ... ... صفراء ولا أستطيع أن أتقيأ » .

وأحس كأنه يتيه في غياهب ، أو يندحر في أعماق .

أهكذا الموت ؟ أبعد آن كان جسده عموديا يسري على سطـح الطريق يصفع فضاءه ، يرقد هكذا أفقيا لصق التراب ؟ ولكنه أسف.. أسف لانه كان يغيـب قبل أن يعرف .

. . .

وبعد قليل عندما أصبح النهار قديما ، في التاسعة أتت عربـة « الزبالة » ونزل منها العامل ، وسمع الناس صوت ارتطام في أرض العربـة ..

لقد كدمت أرض العربة وجه الكلب ..

القاهرة — **عبد الرحمن علي**